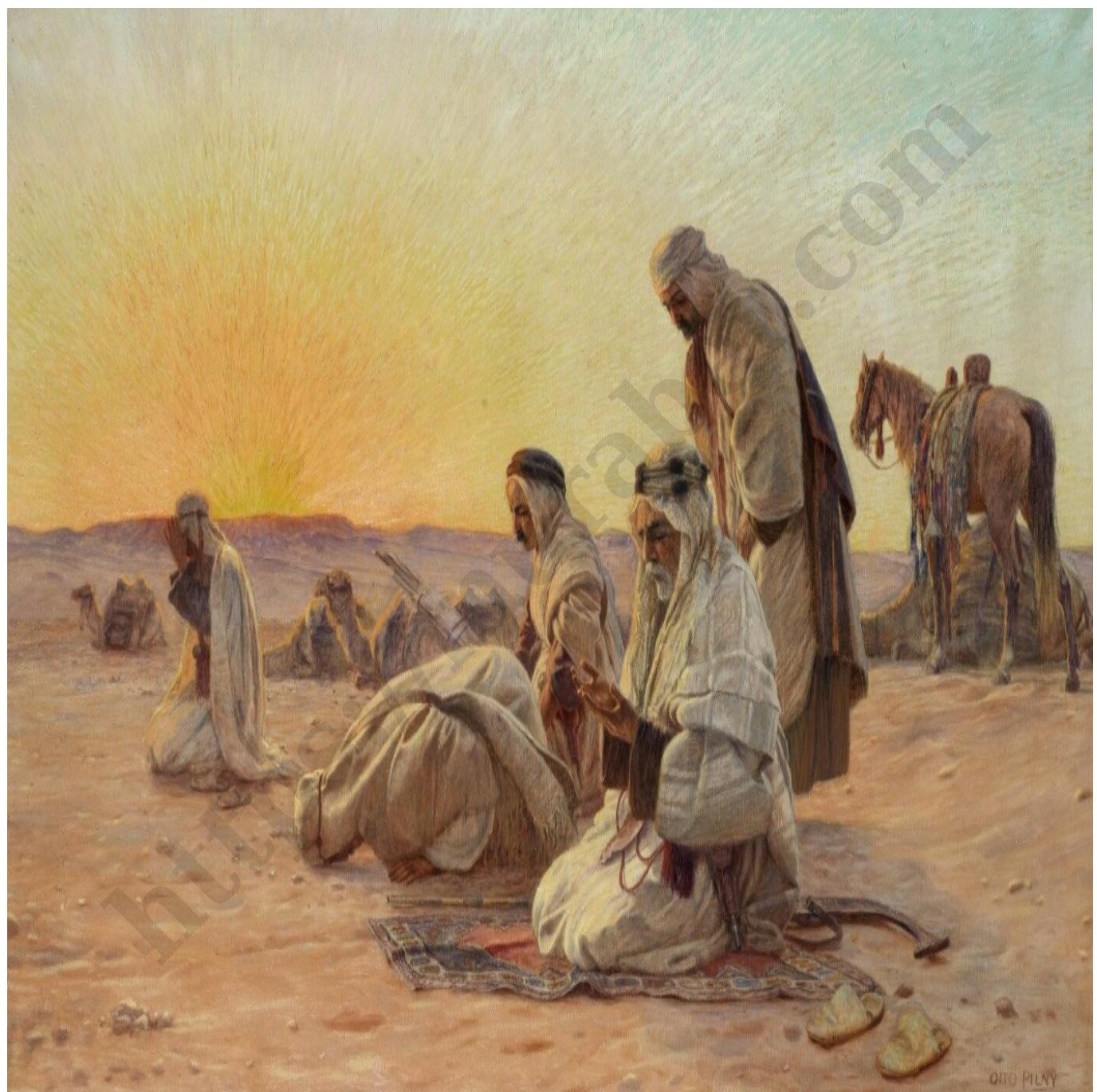


المذاهب والفرق المعاصرة: القدرية ج 1

الكاتب: عبد الرحيم السلمي



الإيمان بالقدر:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعود بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا عبد ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاحد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه. أما بعد: فمن المعلوم أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بالقدر، وقد دل على وجوب الإيمان بالقدر الكتاب والسنة، قال الله سبحانه وتعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ" [القمر: 49]، وقال عز وجل: "وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا" [الأحزاب: 38]. وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم في حديث جبريل عليه السلام الطويل: الذي جاء فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن أشراط الساعة، أنه لما سأله عن الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبال يوم الآخر، وبالقدر خيره وشره).

وأركان القدر أربعة:

الركن الأول: العلم. وهو: الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، ويعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه وتعالى يعلم أفعال العباد وما هم عاملون قبل أن يخلقهم سبحانه وتعالى، وهذا الركن تدل عليه عشرات النصوص من القرآن والسنة التي فيها إثبات علم الله سبحانه وتعالى الشامل لكل شيء.

والركن الثاني: الكتابة. وهي: أن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة عندما خلق القلم، كما جاء

في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، فكتب القلم مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، وكتبه في اللوح المحفوظ). وركن الكتابة يدل عليه كثير من النصوص؛ وأما الأدلة من الحديث فمنها: هذا الحديث، وهو في صحيح البخاري.

والركن الثالث: المشيئة. وهي: الإيمان بمشيئة الله سبحانه وتعالى الشاملة العامة لكل شيء، وأنه لا يمكن أن يكون شيء في خلق الله عز وجل إذا كان الله عز وجل لم يرده، ولم يشئه سبحانه وتعالى.

والركن الرابع: الخلق. وهو: أن الله عز وجل خلق أفعال العباد، فأفعال العباد من الخير والشر، والحسن والقبح، والطاعة والمعصية، مخلوقة لله سبحانه وتعالى، والعبد لا يخلق فعل نفسه، كما قال الله سبحانه وتعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" [الصفات: 96]، فكل ما يعلمه العباد هو من خلق الله سبحانه وتعالى.

أهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر إيماناً كاملاً مفصلاً، وعقيدتهم في الإيمان بالقدر عقيدة واضحة وبينة، وهم ينهون ويأمرون بالإمساك عن مسائل القدر إذا كان الخوض فيها بغير منهاج الشرع، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، وقال: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه بعض؟! بهذا هلك من كان قبلكم). وهذا حديث صحيح رواه الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح.

التعريف بالقدرية:

القدرية: اسم جنس عام يشمل كل من انحرف في القدر، وبالذات المنكريين للقدر الذين أنكروا وجود القدر.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في القدرية أحاديث منها: حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث أخاف على أمتي منها: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، والتذكيب بالقدر). والأنواء هي: النجوم. قوله: (وحيف السلطان)، يعني: ظلم السلطان. وهذا حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

وثبت عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) وهذا الحديث رواه الأجري رحمه الله في (الشريعة)، واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)، وابن بطة في (الإبانة)، ورواه أبو داود والحاكم، وهو حديث حسن، وقد حسنـه الحافظ ابن حجر رحمـه الله بمجموع طرقـه، وحسـنه كذلكـ الشيخـ الألبـانيـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـيـ فـيـ (ظـلـالـ الجـنـةـ فـيـ تـخـرـيجـ أـحـادـيـثـ السـنـةـ)ـ لـابـنـ أـبـيـ عـاصـمـ.

فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن وجود هذه الطائفة التي تنكر القدر، وسمـاهـمـ:ـ الـقـدـرـيـةـ.ـ وـسـمـاهـمـ أـيـضاـ:ـ مـجـوـسـ هـذـهـ الـأـمـةـ،ـ وـأـمـرـ بـهـجـرـهـمـ فـقـالـ:ـ (إـذـاـ مـرـضـواـ فـلاـ تـعـوـدـوـهـمـ،ـ وـإـذـاـ مـاتـواـ فـلاـ تـشـهـدـوـهـمـ)،ـ يـعـنيـ:ـ لـاـ تـشـهـدـوـاـ الـصـلـاـةـ عـلـيـهـمـ،ـ وـلـاـ تـشـيـعـوـهـمـ).

وهـذاـ يـدـلـ عـلـىـ خـطـورـةـ هـذـهـ الـفـرـقـةـ،ـ وـيـدـلـ عـلـىـ خـطـورـةـ الـانـحـرـافـ فـيـ الـقـدـرـ،ـ وـيـدـلـ عـلـىـ الـأـمـرـ بـهـجـرـ الـمـبـدـعـ،ـ وـخـطـورـةـ التـسـاـهـلـ مـعـهـمـ).

نـشـأـتـ الـقـدـرـيـةـ

وقد نـشـأـتـ الـقـدـرـيـةـ فـيـ آـخـرـ عـصـرـ الصـحـابـةـ رـضـوانـ اللـهـ عـلـيـهـمـ،ـ وـبـالـتـحـدـيدـ بـعـدـ نـهاـيـةـ عـهـدـ الـخـلـفـاءـ الرـاشـدـيـنـ،ـ وـبـعـدـ وـفـاةـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـينـ،ـ وـفـيـ خـلـافـةـ يـزـيدـ بـنـ مـعـاوـيـةـ بـصـفـةـ الـخـصـوصـ).

ونـشـأـتـ هـذـهـ الـفـرـقـةـ أـوـلـ مـاـ نـشـأـتـ عـلـىـ يـدـ رـجـلـ نـصـرـانـيـ أـعـلـنـ أـنـهـ مـسـلـمـ ثـمـ عـادـ

وتنصر مرةً أخرى، وهو: سوسن النصراني. وعن سوسن النصراني هذا أخذ رجل من أهل البصرة يقال له: معبد الجهنمي، وعن معبد الجهنمي أخذها غيلان الدمشقي، ثم انتشرت بعد ذلك.

يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن. وقد كان في البصرة، وكان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهنمي وأخذ غيلان عن معبد. وهذا ثابت عن الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى.

ويرجح بعض العلماء: أن مصدر القدرة ليس النصارى - كما قال الإمام الأوزاعي - ويرى أنها فكرة نشأت عند بعض العراقيين، ثم قالوا بالقدر بعد ذلك.

والحقيقة: أنه ليس هناك تعارض بين هذين القولين؛ فإن القول بأن القدرة نشأت من سوسن النصراني ثابت عن الإمام الأوزاعي، ولا يمنع هذا من وجود أشخاص عظموا الكلام في المعاشي إلى درجة إنكار أن تكون هذه المعاشي من قدر الله عز وجل.

رؤيه الصحابة للقدرة

وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث جبريل الطويل، أن سبب تحديد ابن عمر بحديث جبريل هو: أن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري انطلقا من البصرة عندما ظهر معبد الجهنمي القائل بإنكار القدر، فجاءا حاجين أو معتمرین، فلما جاءا في يوم عرفة التقيا بابن عمر رضي الله عنه، قال يحيى بن يعمر: فاكثنته أنا وصاحبِي، أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، قال: فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى، فقلت: يا أبا عبد الرحمن! إنه ظهر قبلنا ناس يتقدرون العلم يقولون: لا قدر، والأمر أ NSF -يعني: مستحدث، أي: ليست هناك مقادير سابقة، وإنما هي أمور مستحدثة ينشئها الإنسان منه بدون سابق علم أو كتابة أو تقدير- فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أخبرهم أنني بريء منهم، وأنهم براء مني، إنهم لو أنفقوا مثل جبل أحد ذهبًا ما يتقبله

الله منهم حتى يؤمنوا بالقدر.
وفي رواية: لو أنفقوا مثل جبال الأرض ذهباً لا يتقبلها الله منهم حتى يؤمنوا بالقدر. وهذا يدل على إنكار الصحابة رضوان الله عليهم لهذه المقالة الفاسدة الخبيثة.

وكذلك أنكر هذه المقالة الفاسدة من الصحابة: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد ثبت أن طاوساً رحمه الله - وهو من التابعين - كان هو وأبو الزبير في المطاف فرأيا معبداً الجهنمي، فكلمه طاوس وأنكر عليه، وتتكلم عليه بشدة، ثم اتجه إلى ابن عباس وأخبره بذلك، فقال وقد عمى: أمسكوني إيه أو بهذا المعنى، فقيل له: وماذا تفعل؟ قال: لئن أخذت برأسه لأدقن عنقه. وهذا يدل على شدة الإنكار من ابن عباس رضي الله عنه.

ومن الصحابة الذين كانوا في تلك الفترة وأنكروا هذه البدعة: أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وواشلة بن الأسعق، وغيرهما، وكلهم أنكروا هذه البدعة المنحرفة الضالة.

وقد بدع السلف رضوان الله عليهم معبداً الجهنمي، فقال الحسن البصري رضي الله عنه لأصحابه: لا تجالسو معبداً فإنه ضال مضل. وقد انتشرت هذه الفكرة في البصرة وفي العراق بشكل عام، وفي بلاد الشام والحجاز، وكانت قليلة جداً في الحجاز، وكان المعتقدون لهذه الفكرة والعقيدة في بدايتها عبارة عن أفراد فقط، وكان عموم الأمة على منهج السلف رضوان الله عليهم.

وقد ورد في كتب الرجال مثل: (ميزان الاعتدال)، و(تهذيب الكمال)، و(تهذيب التهذيب)، وغيرها عن مجموعة من التابعين أنهم رموا بالقدر، ومنهم: أبو سعيد الحسن البصري رحمه الله تعالى، ومنهم: مكحول، وهو من التابعين ولم يثبت ذلك عنهما، وهو باطل عليهما.

يقول الأوزاعي رحمه الله تعالى: لم يبلغنا أن أحداً من التابعين تكلم في القدر إلا الحسن ومكحولاً فكشفنا عن ذلك فإذا هو باطل. وهذا النص نقله الذهبي رحمه الله تعالى في (ميزان الاعتدال).

وبعد النظر في أخبار التابعين الذين رموا بالقدر تبين أنهم ثلاثة أنواع: النوع الأول: لم تثبت عنهم هذه المقالة الفاسدة، وإنما هي كذب وافتراء عليهم، ومنهم: الحسن البصري، ومكحول رحمهما الله تعالى. وقد ذكرنا أن الحسن البصري بدع معبدًا وقال: هو ضال مضل.

النوع الثاني: من كان منهم ينهى عن المعاصي، وكان قويًا وشديداً في النهي عنهما، وكان متبعاً من الزهاد، فظن الناس أنه ينكر أن تكون هذه المعاصي بقدر الله عز وجل؛ لشدته في إنكار هذه المعاصي، فنسب إلى القدر وهو لم يقل به، ومنهم: ابن أبي ذئب رحمه الله عالم المدينة وقرير الإمام مالك بن أنس رحمهما الله أجمعين. فقد ورد عن أبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال: إذا قيل: إن ابن أبي ذئب قدري، فيقال: ما كان قدرياً، إنما كان ينكر على الناس الذنوب والمعاصي فنسب إلى القدر.

النوع الثالث: من كان فيه عبادة وزهد وتقوى لله سبحانه وتعالى، ولكنه أخطأ في فهم القدر فوقع في زلة من الزلات، ومنهم: قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى وغفر له. وهذا النوع ليس مثل معبد الجهنبي وغيلان الدمشقي وغيرهما من هذه الفرقة، وقد كان قتادة عالماً من أئمة الدين وعلماء المسلمين، الصادقين في دعوتهم، المخلصين فيما يقولون ويعملون، ولكنه وقع في زلة وخطأ، وهذا من الأخطاء التي لا يتبع عليها العالم، ولا نقول: إنه مبتدع، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلمة رائعة في كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) إذ يقول: المجتهد لا نعصمه ولا نؤثمه. قوله: لا نعصمه أي: لا نعتقد أنه معصوم فنتابعه في زلاته وأخطائه، قوله: ولا نؤثمه أي: لا نتكلم عليه ونسبة ونعتقد أنه آثم، وإنما نقول: اجتهد فأخطأ.

ولكن معبدًا ليس حاله كحال هؤلاء، فهو ليس إماماً من أئمة السنة، وكذلك غيلان الدمشقي، وغيرهم من أئمة البدع ليسوا من أئمة السنة، وليس لهم قدم راسخة في العلم، وإنما كانوا جهالاً أخذوا إما من النصارى، أو من اليهود،

كما هو حال بعض السبيئية. فمثل هؤلاء لا يغدرون لا من قريب ولا من بعيد، كالجهم بن صفوان ومعبد الجهنمي فقد هجرهما السلف وتكلموا عليهما كلًا شديدًا.

وأما غيلان الدمشقي فإنه التقى بعمر بن عبد العزيز، وقد كانت لعمر بن عبد العزيز جهود عظيمة في مناظرة أهل البدع ومحاولته إقناعهم، وقد حاول إقناع الخوارج، وإقناع غيلان الدمشقي، وأقنعه بالفعل وأفحمه وأسكته وجعله عنده في دمشق، ولكن غيلان الدمشقي بعد وفاة عمر بن عبد العزيز عاد مرةً أخرى للدعوة إلى إنكار القدر، فأخذ هشام بن عبد الملك فقطع يده فاجتمع الذباب عليها فجاءه رجل فقال له: هل هذا بقدر الله؟ قال: لا، ليس هذا من قدر الله، فأخذه هشام فقتله وصلبه، وقصته معروفة. ولمعبد الجهنمي وغيلان الدمشقي ترجمة في (تهدیب التهذیب)، و(میزان الاعتدال)، و(سیر اعلام النبلاء).

طوائف القدريّة

القدريّة اسم جنس عام يشمل كل من انحرف في القدر، سواء بالإنكار، أو بالإثبات الغالي، ويجتمعهم ثلاث طوائف: الطائفة الأولى: القدريّة المحوسيّة. والطائفة الثانية: القدريّة المشركيّة. والطائفة الثالثة: القدريّة الإبلisiّة.

الكلمات المفتاحية:

#القدريّة

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.